***الرد على الجبرية***

***بحث فى :بقية الفرق المنتسبه للاسلام***

***إعداد / أحمد عبد الحميد مهدى***

***قسم الدعوة وأصول الدين***

***كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية***

***شاه علم - ماليزيا***

***ahmed.mahdey@mediu.ws***

**خلاصة هذا البحث فى : الرد على الجبرية**

**الكلمات الافتتاحيه: الجبريه ، العباد، مجبرون**

* ***.المقدمة***

 **الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين ، سوف نقوم في هذا البحث بمعرفة الرد على الجبرية**

* **.*عنوان المقالة***

.إن الجبرية، لها أدلة تستدل بها على صحة ما ذهبت إليه؛ ولكنها أدلة وضعت في غير موضعها، وفهمت على غير وجهها.

ونبدأ بأدلتهم على عقيدتهم في أفعال العباد، وأن العباد مجبرون في أفعالهم، والتي هي أساس مذهبهم:

لهم على هذا المبدأ أدلة نقلية، وأخرى عقلية:

أما الأدلة النقلية: فقد استدلوا بالآيات الدالة على عموم الخلق، ومنها قوله تعالى:{ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ} وبالآيات الدالة على إثبات الإرادة، والاختيار لله تعالى، ونفي ذلك عن العباد، ومن ذلك قول الله سبحانه:{ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ} [القصص: 68] وقوله -جل وعلا:{ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ} [الإنسان: 30].

واستدلوا كذلك بالآيات التي تسند الهداية والإضلال إلى الله سبحانه، ومنها قوله تعالى:{ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ} [إبراهيم: 4].

وأما الأدلة العقلية: فلا نكاد نجد لهم دليلًا يستحق الذكر، وأشهر دليل لديهم، هو قولهم: إن فعل العبد، إما أن يكون مقدورًا لله وحده، أو للعبد وحده، أو لله وللعبد، أو لا لله ولا للعبد؛ والرابع باطل؛ لاستحالة وجود فعل بلا فاعل؛ والثالث باطل؛ لما يلزم عليه من اجتماع قدرتين على مقدور واحد، أو فاعلين على فعل واحد، وهو محال؛ والثاني باطل؛ لتضافر النقل والعقل، على أن المؤثر في جميع الأشياء هو الله سبحانه، وهو باطل أيضًا؛ لما يترتب عليه من إخراج بعض الأشياء عن قدرة الله تعالى، مع أن الله تعالى على كل شيء قدير، وإذا بطل الرابع، والثالث، والثاني؛ لم يبقَ إلا الأول؛ فيثبت أن الفاعل لأفعال العباد هو الله سبحانه، وليس للعباد فيها قليل ولا كثير، وبهذا يثبت أنه ليس للعبد تأثير في فعلٍ ما؛ فيكون مضطرًّا في جميع أفعاله... هذه أدلتهم.

تقويم المذهب:

ما من شك في أن هذا المذهب فاسد، وأن فساده ظاهر، لا يحتاج إلى بيان؛ لأنه ينقض الدين من قواعده، ويقوِّض الأخلاق، ويزري بالسلوك والآداب، ونحن نشير إلى جملة من ضلالاته:

الأول: فالمذهب، يؤدي إلى أنه لا معنى للتكليف، وإرسال الرسل، والجزاء ثوابًا وعقابًا؛ فكل ذلك لا فائدة منه، ولا حكمة وراءه؛ وبناء على المذهب، يكون التكليف عبثًا؛ كذلك إرسال الرسل، وإنزال الكتب والتشريعات، ثم البعث والحساب، كل هذه الأمور الجوهرية في الدين، أو هي الدين في جملته وتفصيله، يقرر المذهب أنها عبث؛ لا حكمة وراءها، ولا فائدة فيها، ولا معنى لها، والمذهب بهذا مكذِّب بالقرآن والسنة، ومعارض لإجماع الأمة؛ فالقرآن والسنة وإجماع الأمة، كلها تقرر أن الدين حق، وأن الله تعالى حكيم في كل أفعاله، لا يفعل شيئًا عبثًا، ولا لهوًا، ولا يظلم الناس شيئًا؛ ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

الثاني: اتفاق العقلاء بداهة، على أن أفعال الإنسان تنقسم إلى: أفعال اضطرارية، وأخرى اختيارية، وهذا ما يحسه ويشعر به كل إنسان، من أنه في أفعاله الاختيارية، يستطيع أن يفعل الشيء أو يتركه؛ فالقدرة على الفعل والترك، دليل على الاختيار وحرية الإرادة.

الثالث: ما هو مقرر لدى جميع العقلاء، من أن هناك فرقًا بين أفعال الإنسان الاختيارية، وأفعال البهائم والنباتات، وكذا الجمادات.

الرابع: القرآن الكريم، والسنة النبوية، يقرران حرية الإنسان في كل أفعاله الاختيارية، وبالذات في قضايا الأفعال التي تمس الدين، ويكون عليها الجزاء مثوبة أو عقوبة؛ يقول الله :{ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ } [البقرة: 286]، ويقول :{ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ} [الكهف: 29]، ويقول :{ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑﰒ}[النجم: 39 - 41]، ويقول : ((إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى)).

هذا؛ وأما نفيهم الصفات الأزلية عن الله تعالى، أو كل صفة يوصف بها الخلق، أو قولهم بخلق القرآن، أو نفي رؤية المؤمنين لله في الآخرة؛ فسنذكر الرد على ذلك -إن شاء الله- بالتفصيل، مع الرد عند الكلام عن المعتزلة، وكذلك قولهم: بأن المعرفة تجب بالعقل قبل ورود السمع.

وأما الزعم بأن حركات أهل الخلدين تنقطع، وأن الجنة والنار تفنيان؛ فهذا أمر مردود ومرفوض؛ لأن الجنة والنار، خالدتان وباقيتان بإبقاء الله تعالى لهما، وكل ما ورد في القرآن والسنة يدل على ذلك، كما يدل على خلود أهلهما فيهما أبدًا؛ فأهل الجنة خالدون فيها أبدًا؛ كما دل على ذلك القرآن، وأهل النار، باستثناء عصاة المؤمنين الذين يخرجون من النار بما بقي معهم من إيمان -كما دلت على ذلك السنة الصحيحة- هم كذلك خالدون فيها أبدًا.

الرد على القول بفناء الجنة والنار:

أما ما أوردوه من دليل يفهم منه فناء الجنة أو النار، بأن دوامهما مرتبط بدوام السموات والأرض، وهما لا يدومان، وسيفنيان كما تفنى الأشياء، وكما دلت على ذلك الأدلة، أو هذا الاستثناء: "إلا ما شاء الله"، وقد زعموا أنه بذكر الاستثناء، وذكر دوام السموات والأرض، وهو أمر غير دائم، دل هذا على فناء الجنة والنار.

فنقول -وبالله التوفيق- إن قول الله تعالى: {ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ} [هود 106: 108].

قد فُهمت الآيتان فهمًا غير صحيح، فإن قوله تعالى: { ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ} معناه: ليست هذه السموات، ولا تلك الأرض؛ وإلا فهما سيفنيان قبل يوم القيامة، يوم تنفطر السموات، ويوم تزلزل الأرض، هو قوله تعالى: {ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ} [الأنبياء: 104].

وقوله تعالى: {ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ} [الزمر: 67]؛ فليس المعنى إذًا هو هذه السموات والأرض التي نعهدها في الدنيا، بل هناك سموات غير السماوات، وأرض غير الأرض، كما قال تعالى: {ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ} [إبراهيم: 48].

وهذه السموات والأرض تبقى وتدوم، ثم قول ربنا : { ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ } هو تعبير قرآني، يناسب لغة العرب الذين يعبرون عن ديمومة الشيء بدوام السموات والأرض؛ فخاطبهم القرآن بلغتهم، كما أن معناها أيضًا: ما دامت السموات سموات، والأرض أرضًا؛ كما قيل أيضًا: لكل جنة سماء وأرض؛ فهي دائمة بدوام سمائها وأرضها.

إذن، هو تعبير يدل على البقاء، ولا يدل على الفناء.

وأما الاستثناء، في قول رب الأرض والسماء: {إ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ } فمعناه: أن كل شيء يقع في الكون، إنما هو بمحض مشيئته وإرادته؛ فلا خلود لأهل الجنة إلا بمشيئته، ولا خلود لأهل النار إلا بمشيئته؛ فسبحانه لا يُسأل عما يفعل وهم يسألون، ولا يُجبَر على شيء -جل شأنه- لذلك كل شيء يقع بمشيئته.

فقوله تعالى: {ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ} يفهم على وجهه أيضًا؛ لأن مشيئة الله تعالى، اقتضت ألا يخلد في النار من مات على التوحيد؛ فالاستثناء يكون هنا على وجهه وعلى حقيقته؛ فالذين دخلوا النار وهم عصاة، يخرجون منها؛ لما بقي معهم من التوحيد؛ فهم المستثنون من الخلود في النار. وهذا واضح.

وأما قوله سبحانه: { ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ} فنفهمه على أن خلود أهل الجنة في الجنة بمشيئة الله تعالى، لا بإجبار ولا إرغام، ولا بقهر أو إلزام؛ وإنما هي مشيئة الملك العلام؛ اقتضت خلودهم في الجنة بلا انقطاع أو انتهاء، والذي يؤكد هذا، ختم الآية بقوله -جل وعلا: {ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ } أي: غير مقطوع ولا منتهٍ، فدلت تلك الجملة على تأكد الخلود في الجنة -بفضل الله تعالى- فالآية حجة عليهم وليست لهم.

**المراجع والمصادر:**

1. **أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، 1389هـ**
2. **عواد بن عبد الله المعتق، المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها ، الرياض، مكتبة الرشد، 1417هـ**
3. **الدكتور صابر بن عبد الرحمن طعيمة، دراسات في الفرق ، الرياض، مكتبة المعارف، 1408هـ**
4. **عبد القاهر بن طاهر البغدادي، الفَرْق بين الفِرَق ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، المعرفة للطباعة والنشر، 1976م**
5. **محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، الملل والنحل، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1395هـ**
6. **علي سامي النشار، نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام ،القاهرة، دار المعارف، 1981م**
7. **عبد الرحمن عميرة، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منه ، بيروت، دار الجيل، 1405 هـ**
8. **مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب ، الدار المصرية اللبنانية، 2004م**
9. **إحسان إلهي ظهير، القاديانية دراسات وتحليل ، الرياض، طبع ونشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء، 1404هـ**
10. **أحمد محمود صبحي، في علم الكلام: دراسة فلسفية لآراء الفرق الإسلامية في أصول الدين ، مؤسسة الثقافة الجماعية، 1982م**
11. **عبد القادر بن حبيب الله السندي، التصوف في ميزان البحث والتحقيق ، المدينة المنورة، مكتبة ابن القيم، 1410هـ**
12. **محمد عبد الهادي المصري، أهل السنة والجماعة معالم الانطلاقة الكبرى ، الرياض، دار طيبة للنشر والتوزيع، 1409هـ**
13. **الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ، إشراف ومراجعة: مانع الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، 1418هـ**